

تظاهرة مسرح الأطفال في مناسبات الأعياد هل تشكل حافزاً؟ وليد الدبس لـ «الوطن»: الأطفال الخارجون من الأزمة هم جيل مدمر عاطفياً ومهمتنا إعادته إلى براءته

سوسن صيداوي



لأن شأن الطفولة أمر في غاية الأهمية والعناية به أمر بالغ الدقة والحذر، خاصة في هذا الوقت الحرج الذي تمر به سوريا، ولأن المعنيين يسعون بكل ما هو ممكن ومتاح للإحاطة بهذا الكائن الصغير، فالجهود تبذل - رغم شح الإمكانيات المطروحة - كي تلفت نظره وتستحوذ على اهتمامه وتُلقِّق العنان لخياله، بحثاً عن أمل جميل للحياة وأقربها من، ولكن مفاتيحها يسهل امتلاكها بالتفكير والتربية والتعليم المرفق بالروح واللهم الذي يقدمه أبو الفنون المسرح، لأن الأخير قادر على تقديم ما لا يمكن للمدارس أو حتى الجامعات تقديمه، فالتجارب العالمية القديمة والحاضرة منها عبرها مأخوذة وملموسة، لهذا في فترتنا الحالية وبرعاية وزارة الثقافة - مديرية السراخ والموسيقا - قدمت وما زالت ضمن تظاهرة «فرح الطفولة»، تقدم للأطفال التي انطلقت عروضها بمناسبة عيد الأضحى وتستمر لما بعده في عروض تتفاوت مدتها بين الساعة والساعة والنصف، وهي: أرنوب الحكيم على مسرح العرائش، قلة والأقزام السبعة على مسرح الحمراء، خفيف وظريف على مسرح حديقة تشرين، وأخيراً الريشة البيضاء على مسرح القباني. صحيفة «الوطن» تابعت العرض الأخير من أيام التحضيرات من تركيب الديكور والإضاءة، مع البروفات والتقت العاملين، بداية من كاتب النص ومخرجه وليد الدبس، إلى هندسة الديكور محمد وحيد قزق، وبعضاً من الممثلين ولكن نذكر أسماء كل المشاركين: سيرينا المحمد، مؤيد الخراط، باسم عيسى، عايدة يوسف، فادي حموي، ناصر شبلي، رباب كنعان، داود شامي، جودي الزاقوت، والطفل ميار الدبس.

وليد الدبس، وأنا سعيد بالعمل معه لأنه شخص مدرك ولا يستسهل أبداً عقل الطفل أو مشاعره، إضافة إلى كونه كاتب العمل ومخرجه وهو مهتم بكثير من التفاصيل، فمن خلال شخصيتي بديوب والشخصيات الأخرى كقردو، الأطفال لن يروها حيوانات بل قام بأنسنتها، وبالمقابل الإنسان - في المسرحية - هو الشريد. في النهاية التجربة لطيفة وممتعة جداً..

شخصية بأداء محترف

تجسد الشخصية ليس بالأمر السهل فكيف إن كانت تمثّل الفئانة وتؤدي دور «قردو»، صديق الحطاب، إنها الفئانة سيرينا المحمد خريجة المعهد العالي، التي لها العديد من التجارب السابقة للأطفال - قبل المعهد - ولكن هذه التجربة الأضجع بحسب قولها وتتابع العمل مع الأطفال ممتع جداً لأنه يعطي مساحة من الحرية للممثل كما يفيد كخبرة مهننة، بصراحة أنا متمسكة بالطفل الساكن في داخلي، كي أستطيع أن أكون أقرب من عفوية الأطفال وطريقة تفكيرهم. ولكن يؤسفني جداً كون مسرح الأطفال مهملاً مقارنة بالتجارب الخارجية، ولا يمكننا أن نرجع السبب للأزمة، فالمشاكل موجودة من قبل الأزمة، لهذا أتمنى وجود دعم حقيقي، فنحن نطرح له ونطالب به ولن نيتس أبداً، وعن نفسي سأسعى دائماً إلى أن أقدم الشخصيات وسأبحث بخصوصها وأقدمها كما لو أنني أمثّل لأول مرة..

أهمية الصوت

من جانبها أوضحت الفئانة عايدة يوسف أهمية الصوت من حيث القوة في حضوره وتأثيره في الجمهور وخاصة أنها تعمل في مجال الإعلام المرئي والمسعود مضيئة «مهما كان الصوت جميلاً فلن يصل إلى يماذ الصوت بالشكل الناجح إذا كان ضعيفاً، بل يجب أن يماذ الصوت فضاء المسرح من دون أن يتفكر الجمهور، إنه جزء لا يتجزأ من شخصية الممثل التي يقوم بدراستها ويطورها ويهتم بها، كذلك صوته عليه أن يتحكم به ويقوم بتدريسه، وبالنسبة لي أنا سعيدة لأنني انقطعت عن التمثيل وهذه عودتي، وخاصة أن العمل للأطفال وهي أول مرة..»

ملكة البجعات

في الختام تحدثت الفئانة رباب كنعان عن أهمية النص لكونه نقطة العبور إلى أفكار الطفل ومشاعره وخاصة لما للتلحين من طيرية وعفوية «أنا أرى أن النص لطيف، وفيه رموز بسيطة وعميقة تثير أفكار الطفل ليسعى بخياله كي يفك اللغز. وعن تجربتي في العرض أنا أشعر باستمتاع كبير، وحملت هذه الشخصية لسان حالي فما أحوجنا في هذه المرحلة إلى ريشة بيضاء، ريشة ترفعنا عن الواقع الدريء الذي وصلنا إليه نستطيع الاستمرار ونقتل أحزاننا وهمومنا وشاغلنا ببياضها وتقائها. وأعتقد أننا نمر بفترة خطيرة هي استمرار لتراكمات الأزمة وتبعاتها، لهذا علينا الإحاطة بجيل الأزمة، لأنه يحتاج إلى نوع خاص من الاهتمام، والأمر يتطلب تضافر جهود الجهات المختصة والمعنية بأسرع وقت ممكن..»

بعيد عن الجهل وما يورده لنا الغرب الاستعماري. وأحب أن أشير هنا إلى نقطة في غاية الأهمية ولأسف هي أزمة حقيقية في عالمنا العربي، وهي النظرة الدونية والاستهائبة لمسرح الأطفال والمناقضة تماماً للنظرة الغرب وتقديرهم لهذا المنبر ولكل العاملين فيه معنوياً ومادياً، هنا لن أتوقف لأنني وكل صدق أصابني عدوى حب مسرح الأطفال وأبذل قصارى جهدي كي أرسم بسمة على شفاههم وأساعدهم قدر الإمكان على التفكير بإيجابية وأمل..»

أخرى، والحارس هو من يكشف سرقة «خربوش» للريشة البيضاء، ويخبر الملكة. وفي النهاية أنا لا أجد التمثيل أمراً صعباً وأحلم بأن أصبح ممثلاً..

تعبير صامت

من جانبها عبرت الأميرة جودي الزاقوت عن هذا الدور في المسرحية وهو الأول بأنه صعب لأنها لا تتكلم أو تتنطق بحرف، فتقول: «أنا طالبة في السنة الثانية في كلية الإعلام والمسرح شغفي منذ الصغر، دوري إيماني لكوني خرساء ولا أتكلم، بل أعبر عن خلال العزف، والأصعب أنه علي أن أوصل الفكرة للأطفال بحركة بدني فملاً أو تعابير وجهي أو حركتي. هذه تجربتي الأولى ولكنني متأكدة أن الرهبة التي يمر بها الكثير من الحوية ومساعد جداً وتفاعله معنا..»

مسرحي بامتياز

هذه مشاركة من مشاركات عديدة لفنان متعلق قلبه بخشبة المسرح سواء أكانت العروض مخصصة للكمبار أم للأطفال إنه الفنان فادي الحموي الذي لا يجد عمله المسرحي صعباً بل الصعب هو الظرف المفروض قائلاً: «أنا أعتق التمثيل على خشبة المسرح، لهذا لا أجده صعباً، لكن الصعوبة في الظرف وفي المستوى المادي، أو في ظروف العرض لأن البلد كان يمر بأزمة موجهة، ولكننا على الرغم من كل ذلك ما زلنا نعمل، ونحاول أن نقدم ونستمتع ونمتع الطفل، وهذه ثاتي تجربة لي مع المخرج

رأي الحطاب

قام بدور الحطاب الشجاع «همام» الفنان مؤيد الخراط وفي شخصيته هو يحب العمل ويكره الكسل، ويضيف: إنه يسعى من خلال دوره إلى تعزيز القيم ومثل الحياة الأساسية، متابعاً «نحن من خلال مسرح الأطفال بالعموم، ومن خلال عرض الريشة البيضاء، نسعى لتأكيد القيم كالخير والعطاء وحب الحياة والتضحية، كي نتكمن من المساهمة في بناء جيل مثقف وصادق،

ممثل باسم عيسى والممثل «ناصر الشبلي» الذي أدى شخصية خربوش جعلها غير قادرين على التفوق على ضجيج الأطفال وتفاعل صرخاتهم في المسرح أحياناً، فالأداء للمسرحي بشكل خاص والمسرح الطفل بشكل أكبر يمتد إلى طاقة صوت مضاعفة يستطع فيها التغلب على صخب الأطفال وتعليقاتهم البريئة، وبينما نجح مؤيد الخراط أن يكون نموذج الحطاب الطيب الذي لا يعمل لمعاً بالمكافأة كما هو خربوش منافسه الشرير الذي يحاول سرقة تعبه، لولا تدخل حارس الغابة التي أدامها الطفل «ميار الدبس».

لا يمكن للمدارس

والجامعات أن

تقدمه ونتائج

ملهوسة

وقد استطاع الفنان محمد وحيد قزق، خلق مسرح تفاعلي من خلال جسر خشبي، يعبر فوق الكراسي ويربط خشبة المسرح بالباب جاعلاً الممثلين يرقصون ويغنون ويتفاعلون مع الأطفال من خلاله؛ حتى إن خروجهم وذهابهم إلى العمل والمغامرات كان من خلاله، مع أن فكرة الجسر الخشبي هذه أكلت عدداً من الكراسي المخصصة للجمهور لكنها كانت الحل الأفضل لحدوث هذا المستوى التفاعلي، فربما لو كانت صالة المسرح مصممة بشكل مختلف وكانت أكبر، لما كانت مشكلة الكراسي سبباً، لكن هذه المشكلة ربما شعر بها الكبار لا الأطفال - أهل العرض - فهم صفقوا وغنوا ورقصوا متجاهلين الكراسي ووجودها. وهذا نجاح يضاهي في المسرحية فلو أن ريتم العمل انخفض لعدة دقائق لأبدى الأطفال الزعاجهم وغضبهم،

نعاني أزمة نص، والأمر طبيعي فالكاتب لا يحصل على ثمرة تعبه، والمردود لا يشجعه على المثابرة والمتابعة لتحسين أدائه، لكن وبالمقابل هذا لا يسوغ أن نستسهل فالكاتب هنا معقدة وتتطلب حيزاً كبيراً من التفكير والجهد، وعلينا أن نفكر بطريقة الطفل ونوصف مشاعره الحقيقية، مع رؤيته الخاصة للأمر. إذ نحن بحاجة إلى تكثيف ودعم أكبر لهذه النشاطات المسرحية كما أسلفت، لأن مسرح الطفل مؤهل أكبر لحياة الطفل بما يقدمه إلى جوار المدرسة والتربية..»

قصة الريشة البيضاء

عن قصة المسرحية يوجز المؤلف وليد الدبس «الأميرة غير قادرة على الكلام، والطبيب يقرح أن علاجها الوحيد هو إحضار ريشة البجع من بحيرة البجع، ومن بين الشخصيات يتطوع اثنتان: «همام» الحطاب الشجاع مع صديقه «قردو»، والشخص الأخر «خربوش» الكسول والعاطل دائماً من العمل، فيتعرضون أثناء السير للمخاطر، وفي أثنائها «خربوش» يخفي عن الأنظار، على حين «همام» يصل إلى البحيرة وتعليبه سيده البجعات الريشة، هنا وأثناء نوم «همام» يسرق «خربوش» الريشة، ليأتي «بديوب» ويحرضه بأن يكون إنساناً إيجابياً، ويخبر «همام» بالأمر، في اللحظة الأخيرة يكشف حارس الغابة الحقيقة للملكة ضمن أحداث وأغان ممتعة تضيء جواً من التسلية خلال ساعة ونصف الساعة..»

للطفولة دور

من جانبه تحدث الطفل ميار الدبس عن مشاركته في العرض «عمري اثنا عشر عاماً، وهذا أول دور لي، وشخصيتي حارس الغابة الذي لا يسمح لأحد بقطع الأشجار، ودائماً يطلب من «همام» الحطاب بأن يقطع الشجرة اليابسة فقط وأن يزرع عوضاً عنها شجرة



موسيقياً، أو مثلاً أن يأخذ القرار بأن يصيح شاعراً، فمن هذه الحالات يمكن أن نسلط الضوء على يقف الطفل وتكون خياراته صحيحة.. وحول الطفل السوري - طفل الأزمة - يشير المخرج قائلاً: «اليوم مهمتنا أصعب لأن علينا أن نتوجه إلى جيل الأطفال الخارج من الأزمة، فهو بدء العام الدراسي الجديد، فقد أعتمد «وليد الدبس» مخرج ومؤلف العمل على حكاية خيالية بسيطة جداً، تشبه الكثير من الحكايا التي عرفناها في طفولتنا، التي تنتهي بانتصار الخير على الشر وزواج الحطاب من الأميرة: «تؤديها الشابة «جودي الزاقوت»، طارحا مشكلة عجز الأميرة عن الكلام، لتكون رحلة البحث عن علاجها مهمة للحطاب الشيطيع محب العمل شام «مؤيد الخراط»، وله رفيق خاص هو قردو تؤديها الممثلة «سيرينا المحمد» التي يبدأ العرض بأغنياتها وفقراتها، مع مكياج خاص «نور الخطيب» استطاع مع نشاط الممثلة سيرينا محمد وفقراتها وإمسائها بالخشبة طوال العرض من دون أن ينخفض أداءها أبداً، مع أن هذا النوع من الأداء ينسجم بصعوبته لأنه يقوم على الإيهام، وحدوث اتفاق ضمنى بين خيال الطفل وتقنيات الممثل، على حين أن من يراه أمامه هو الشخصية فعلاً وليس الممثل الذي يؤدي هذه الشخصية الكرتونية، وكثيراً ما أخفق عدد من الممثلين في أداء من هذا النوع لأن الطفل استطاع بذكاءه أن يقشر ما على الممثل من ملابس ومكياج فلم يقنع بشخصيته الكرتونية هذه، على حين نجحت سيرينا محمد بأن تحول الأطفال جميعاً إلى قردو وظفر ذلك خلال الاستراحة خلال العرض، وعلى القوة نفسها في الأداء الكوميدي استطاع الممثل «باسم عيسى» أن يؤدي شخصية الديك، وبقراً بيانبات الملكة «عايدة يوسف» مدخلاً صوت الديك بحركة ذكية أحبها الأطفال وحاولوا تناهه بريشاته وهو يعبر بينهم لاقترابهم بأنه الديك الملون والأحمر بل قلبهم، لكن ضعف طاقة الصوت عند

في العرض علينا أن نحرر خياله، وبالطبع هذا أمر فيه الكثير من التعقيد، ولكن ومن خلال شاشات خيال الظل ونماذج بسيطة شجرة مثلاً أو مجسمات أليفة ملونة الشبائيك، يمكن لخيال الظل مع الإضاءة أن يمنح الطفل مدى واسعاً للتخيل بأن هناك غابة حقا أو قصراً وقرية إلى آخره من التفاصيل، كما أحب أن أشير إلى أن هذه التفاصيل تقدم للطفل بصرياً يمكن أن تدفعه لاكتشاف الإبداع الكامن في داخله، كي يصبح فناناً تشكلياً أو مهندس إضاءة أو ممثلاً، أو أن يكون موسيقياً، أو مثلاً أن يأخذ القرار بأن يصيح شاعراً، فمن هذه الحالات يمكن أن نسلط الضوء على يقف الطفل وتكون خياراته صحيحة.. وحول الطفل السوري - طفل الأزمة - يشير المخرج قائلاً: «اليوم مهمتنا أصعب لأن علينا أن نتوجه إلى جيل الأطفال الخارج من الأزمة، فهو بدء العام الدراسي الجديد، فقد أعتمد «وليد الدبس» مخرج ومؤلف العمل على حكاية خيالية بسيطة جداً، تشبه الكثير من الحكايا التي عرفناها في طفولتنا، التي تنتهي بانتصار الخير على الشر وزواج الحطاب من الأميرة: «تؤديها الشابة «جودي الزاقوت»، طارحا مشكلة عجز الأميرة عن الكلام، لتكون رحلة البحث عن علاجها مهمة للحطاب الشيطيع محب العمل شام «مؤيد الخراط»، وله رفيق خاص هو قردو تؤديها الممثلة «سيرينا المحمد» التي يبدأ العرض بأغنياتها وفقراتها، مع مكياج خاص «نور الخطيب» استطاع مع نشاط الممثلة سيرينا محمد وفقراتها وإمسائها بالخشبة طوال العرض من دون أن ينخفض أداءها أبداً، مع أن هذا النوع من الأداء ينسجم بصعوبته لأنه يقوم على الإيهام، وحدوث اتفاق ضمنى بين خيال الطفل وتقنيات الممثل، على حين أن من يراه أمامه هو الشخصية فعلاً وليس الممثل الذي يؤدي هذه الشخصية الكرتونية، وكثيراً ما أخفق عدد من الممثلين في أداء من هذا النوع لأن الطفل استطاع بذكاءه أن يقشر ما على الممثل من ملابس ومكياج فلم يقنع بشخصيته الكرتونية هذه، على حين نجحت سيرينا محمد بأن تحول الأطفال جميعاً إلى قردو وظفر ذلك خلال الاستراحة خلال العرض، وعلى القوة نفسها في الأداء الكوميدي استطاع الممثل «باسم عيسى» أن يؤدي شخصية الديك، وبقراً بيانبات الملكة «عايدة يوسف» مدخلاً صوت الديك بحركة ذكية أحبها الأطفال وحاولوا تناهه بريشاته وهو يعبر بينهم لاقترابهم بأنه الديك الملون والأحمر بل قلبهم، لكن ضعف طاقة الصوت عند

في مسرحه

«الريشة البيضاء» تنشر فرح أحفاد «القباني» في مسرحه

أحمد محمد السح

يمكن وصف الأجواء في مسرح القباني خلال عروض العيد التي خصصها لمسرحية «الريشة البيضاء» التي تغلب فرح الطفولة وتنشرها في كل أرجاء المسرح، المسرحية التي عرضت خلال عيد الأضحى المبارك مؤخراً وتتابع عروضها في الأيام القادمة، قبيل بدء العام الدراسي الجديد، فقد أعتمد «وليد الدبس» مخرج ومؤلف العمل على حكاية خيالية بسيطة جداً، تشبه الكثير من الحكايا التي عرفناها في طفولتنا، التي تنتهي بانتصار الخير على الشر وزواج الحطاب من الأميرة: «تؤديها الشابة «جودي الزاقوت»، طارحا مشكلة عجز الأميرة عن الكلام، لتكون رحلة البحث عن علاجها مهمة للحطاب الشيطيع محب العمل شام «مؤيد الخراط»، وله رفيق خاص هو قردو تؤديها الممثلة «سيرينا المحمد» التي يبدأ العرض بأغنياتها وفقراتها، مع مكياج خاص «نور الخطيب» استطاع مع نشاط الممثلة سيرينا محمد وفقراتها وإمسائها بالخشبة طوال العرض من دون أن ينخفض أداءها أبداً، مع أن هذا النوع من الأداء ينسجم بصعوبته لأنه يقوم على الإيهام، وحدوث اتفاق ضمنى بين خيال الطفل وتقنيات الممثل، على حين أن من يراه أمامه هو الشخصية فعلاً وليس الممثل الذي يؤدي هذه الشخصية الكرتونية، وكثيراً ما أخفق عدد من الممثلين في أداء من هذا النوع لأن الطفل استطاع بذكاءه أن يقشر ما على الممثل من ملابس ومكياج فلم يقنع بشخصيته الكرتونية هذه، على حين نجحت سيرينا محمد بأن تحول الأطفال جميعاً إلى قردو وظفر ذلك خلال الاستراحة خلال العرض، وعلى القوة نفسها في الأداء الكوميدي استطاع الممثل «باسم عيسى» أن يؤدي شخصية الديك، وبقراً بيانبات الملكة «عايدة يوسف» مدخلاً صوت الديك بحركة ذكية أحبها الأطفال وحاولوا تناهه بريشاته وهو يعبر بينهم لاقترابهم بأنه الديك الملون والأحمر بل قلبهم، لكن ضعف طاقة الصوت عند



فالطفل لا يجامل لكن وجوههم الباسمة واحتفالهم المتواصل عرضت الرضا التام عن العرض. ربما كان من الممكن تأليف موسيقياً والحن وأشاعر أقوى من التي عرضت على خشبة فالأغاني كان وقعها صعباً ومن الصعب حفظها، فكلنا نعرف أن شعر الأطفال له خطورته وتقنياته الصعبة التي تريد إظهار البساطة أكثر وأكثر لخلق أغنية يحفظها الطفل، وقد ظهر ذلك من خلال موسيقياً «أمين زرقان» التي اتكا فيها على أغان معروفة مبسطة الجملة الموسيقية ما استطاع، فسمه الموضوع التي ختم فيها العرض كأغنية التي يقول «ما أجمل الكلام كرقه الحمام - ما أجمل الكلام بلقي به السلام» لم تجعل منها أغنية محفوفة تثير صخب الأطفال ليغفوها معهم رغم تكرارها، الرقصة الأجل والأكثر إبهاراً بدت مع ظهور البجعات وسيدة البجعات الممثلة «رباب كنعان» التي يسجل ظهورها الخاص هذا عودة خاصة منها إلى المسرح، أعطت للخيال من خلال رقصة الباليه اللطيفة للمصمم «رافقت زهر الدين» والملابس البيض الرقيقة كل ما يمكن حسده في خيال الطفل عن سر المغامرة وجمال الوصول إلى الهدف، كما استطاعت لمسات الإضاءة لبسام حمدي أن تبرز في كامل جمالياتها في هذا المشهد بالذات، مع مشهد تخيل الأميرة حصولها على الريشة قبل حصولها عليها، الممثلون استطاعوا الوصول إلى قلب الجمهور فالدبديوب «فادي حموي» وتقسيمات خربوش وغناؤه على الجسر الخشبي حاز الكثير من التصفيق رغم أن اللعبة هنا بدت خطيرة فقد كان من الممكن لهذه التقسيمات الشرقية ألا تتأثر إعجاب الأطفال، لكنها خففت من غضبته عليه.

أن يمتلئ المسرح بالجمهور من الأطفال وأن يحضر السوربون أولادهم في أيام العيد إلى المسرح ويتفاعلوا هي خطوة لابد من الوقوف عندها وتشجيعها دائماً، فهو لأهم آباء أبناء في المستقبل وسنظل المسرح عالقاً في خيالهم وحبهم نابعا في قلوبهم، ولذا فإن هذا ما سيجعل روح جدهم أبي خليل القباني في سلام مطمئناً أن تضحياته للمسرح لم تذهب سدى.